

الحلقة الثانية
قصص المسيرة

القصص الذي

وفاة رسول

عبد الرحيم زوجة الحفار

٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّؤْسُ ،
أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ
يُنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

(قرآن كريم)

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وفي ذات ليلة ،
قام في جوف الليل ، ونادى مولاه (خادمه) أبا
مُويَّهَةَ ، وقال له :
- أسرجْ لِي دَائِتِي .

فقام أبو مُويَّهَةَ يُعْدُ له بَعْلَتِه ، ثم رَكِّبَهَا رسول
الله ، وقال :
- يا أبا مُويَّهَةَ ، إنِّي قد أَمْرَتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ
هَذَا الْبَقِيعَ ، فَانْطَلِقْ مَعِي .

وَسَارَ الرَّسُولُ إِلَى الْبَقِيعِ ، وَهُوَ مَكَانُ مَقَابِرِ
الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَسَارَ أَبُو مُويَّهَةَ خَلْفَ بَعْلَتِهِ ،
حَتَّى إِذَا بَلَغَا الْبَقِيعَ ، نَزَّلَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ بَعْلَتِهِ ،
فَأَسْرَعَ أَبُو مُويَّهَةَ إِلَيْهَا وَأَمْسَكَهَا ، وَالْتَّفَتَ رَسُولُ
الله ﷺ إِلَى الْقُبُورِ ، وَقَالَ :

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقابرِ ، لِيَهُنَّ لَكُمْ (أَيْ
هُنَّ لَكُمْ) مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ ، مَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ .
أَفْبَلْتِ الْفَتْنَ كَفْطَعَ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ ، يَبْعَ آخِرُهَا أَوْلَهَا ،
الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى .

وَالسَّفَتُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مَوْلَاهُ وَقَالَ :

- يَا أَبَا مُوَيَّبَةَ ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ
الدُّنْيَا وَالْخَلْدَةِ فِيهَا ، ثُمَّ الْجَنَّةَ ، فَخَيَرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ
وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّيِّ وَالْجَنَّةِ .

فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ :

- يَا أَبَيِّ أَنْتَ وَأَمْيَ ، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا
وَالْخَلْدَةِ فِيهَا ، ثُمَّ الْجَنَّةَ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيَّبَةَ ، لَقَدْ اخْرَجْتُ لِقَاءَ رَبِّيِّ
وَالْجَنَّةِ .

وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُ لِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ
اَنْصَرَفَ فِي جَوْفِ اللَّيلِ ، وَخَادُمُهُ يَسِيرُ خَلْفَهُ .

عادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِ الْبَقِيعِ إِلَى الدَّارِ ، فَوَجَدَ
 زَوْجَهُ عَائِشَةَ ، تَشْكُو صُدُاعًا ، وَتَقُولُ :
 - وَارْسَاهُ .
 فَقَالَ لَهَا :
 - بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَارْسَاهُ .
 وَجَلَسَ إِلَى جِوارِهَا ، وَالْتَّفَتَ إِلَيْهَا ، وَقَالَ
 مُدَاعِبًا :
 - هَمْ ضَرَّكِ لَوْ مُتْ قَبْلِي ، فَقَمْتُ عَلَيْكِ وَكَفَتُكِ
 وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَتُكِ .
 قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :
 - وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، لَقَدْ رَجَعْتَ
 إِلَى بَيْتِي ، فَأَغْرَسْتَ فِيهِ بَعْضَ نِسَائِكِ .
 فَبِسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَنَامَ وَهُوَ يَشْكُو أَلْمًا فِي
 رَأْسِهِ ، وَرَاحَ يَدْوِرُ عَلَى نِسَائِهِ ، كَانَ يَدْخُلُ عَلَى

كُل زوجة ليلة ، وأحس اشتداد المرض عليه ، فكان كلما دخل على زوجة من أزواجه ، يقول :

— أين أنا غدا ؟

فهمت زوجاته أنه يريد أن يكث في بيت عائشة ، لتعتنى به في مرضه ، ولما كان في بيت زوجه ميمونة ثقل عليه المرض ، فسأل أزواجه أن يُمرِّض في بيت عائشة ، فأذن له ، فارسل إلى على بن أبي طالب ، وعمه العباس ، فلما جاءا خرج بينهما ، كان يستند عليهما ، وكان عاصبا رأسه ، وظل في سيره ، حتى دخل بيت عائشة ، وبقي به ، لا يخرج إلا للصلوة .

خَيْمَ اللَّيْلُ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ
 الْعِشَاءِ ، وَارْتَفَعَ صَوْتُ بَلَالٍ عَذْبَاً :
 - اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ !
 وَأَتَمَّ بَلَالٌ الْأَذَانَ ، وَانْتَظَرَ النَّاسُ خَرْجَ النَّبِيِّ ،
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ ؛ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ لِلصَّلَاةِ ، فَأَغْمَى
 عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ :
 - أَصْلَى النَّاسُ ؟
 فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :
 - لَا . هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ .
 فَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَائَةً لِيَتَوَضَّأُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
 يَقُولْ ، فَقَدْ أَغْمَى عَلَيْهِ ، وَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ :
 - أَصْلَى النَّاسُ ؟
 فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :
 - لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ .

وأراد أن يتوضأ ، فاغمى عليه ، والناس مجتمعون ، ولما أفاق دخل بلال عليه ، وقال : - الصلاة يا رسول الله .

فقال عليه :

- لا أستطيع الصلاة خارجا ، مروا أبا بكر فليصل الناس .

خافت عائشة ، لأنها تعلم أنه لن يقوم أحد مقام رسول الله عليه ، إلا تشاءم الناس به ، فارادت أن يختار رسول الله أحدا غير أبيها ليصل الناس ، فقالت :

- إن أبا بكر رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء .

فقال رسول الله عليه :

- مروا أبا بكر فليصل الناس .

قالت عائشة :

- إن أبا بكر رجل رقيق .

فقال رسول الله :

— إنك صوّاحب يوسف (أى إنك تُظْهِرُنَّ غيرَ
ما تُخْفِينَ ، كما فعلت زوجة العزيز لما أظهرتَ
للنِّسَاءِ الْلَّاتِي جَمَعْتُهُنَّ ، أنها تُريد إكرامَهُنَّ
بِالضيافة ، وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه
السلام ، فَيَعْذِرُنَّهَا فِي حَبَّهِ) ؛ مروا أبا بكر فليصل
بالناس .

فخرج بلال إلى الناس يبكي ، فجاء إليه الناس
خائفين ، وقالوا له :

— ما وراءك يا بلال ؟

فقال بلال :

— إن رسول الله لا يستطيع الصلاة خارجا .
فراح المسلمون يبكون .

أراد الرسول ﷺ أن يخرج إلى الناس ، فقال
لنسائه :

— أفيضوا علىَ (أى صبوا علىَ) من سبع قرب ،
من سبع آبارٍ شتى ، حتى أخرج فاعهدَ إلى الناس .
وصبوا عليه الماء ، وخرج يستندُ على رجلٍ من
أهله ، حتى إذا بلغَ المنبر ، جلس عليه ، فجاءَ إليه
الناسُ فرحبَ بخروجه ، والتقوَ حولَه ، فقال :

— اللهم اغفر لشهداءَ أحد ، اللهم اغفر لشهداءَ
أحد . يا معاشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون ،
والأنصارُ على هنائها لا تزيد ، فاكرموا كريهم ،
ونجاوزوا عن هسيهم .

أيها الناس ، إنَّ عبداً من عبادِ الله ، قد خيرَه الله

بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عَنْهُ اللَّهُ ، فَاخْتَارَ مَا عَنْهُ اللَّهُ .
فَهُمْ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ ،
وَأَنَّهُ يَذَكُّرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ سَيَمُوتُ ، فَبَكَى مِنَ الْحُزْنِ ،
عَلَى فِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَا فَارَقَهُ أَبَدًا ، قَالَ :
— بَلْ نَحْنُ نَفْدِيكَ بِأَنفُسِنَا وَأَبْيَانَا وَأَمْوَالَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
— إِنَّ أَمَنَ النَّاسُ عَلَىٰ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرَ ،
وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَمْتَنِي خَلِيلًا ، لَا تَتَحَدَّثُ أَبَا بَكْرٍ
خَلِيلًا

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :
— يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلِيَقُمْ
أَدْعُو اللَّهَ لَهُ .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :
— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لِمُنَافِقٍ ، وَإِنِّي لِكَذُوبٍ ،

وإني لشُوْمٌ .

عجبَ الناسُ من ذلك الرجل ، الذي فُضَحَ
نفسَه ، وقال عمرٌ :

— ويَحْكُمْ أَيْهَا الرَّجُلُ ، لَقَدْ سَرَّكَ اللَّهُ لَوْ سَرَّتْ
عَلَى نَفْسِكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— مَهْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ، فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ
فُضُوحِ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صَدْقًا وَإِيمَانًا ، وَأَذْهِبْ
عَنْهُ الشُّوْمَ .

دخلَ الرَّسُولُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَهُ ، وَبَقَى بِهَا يُصَلِّي
لَا يَقُوِي عَلَى الْخَرْوَجِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرَ يُصَلِّي
بِالنَّاسِ ، وَفِي صَبَّاحِ يَوْمِ الْاثْنَيْنِ ، سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ
أَصْوَاتَ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَكَشَفَ سِرْتَرَ الْحَجْرَةِ
وَنَظَرَ ، فَرَأَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ
يُصَلِّيُونَ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، فَجِئُوا ، فَفَرَحَ النَّاسُ لِمَا
رَأَوْهُ ، وَفَسَحُوا لَهُ ، حَسِبُوا أَنَّهُ خَارِجٌ يُصَلِّي بِهِمْ ،
وَتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ ، لِيَتَرَكَ لَهُ مَكَانُ الْإِمَامَةِ ، وَلَكِنْ
الرَّسُولُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَسْتَمِرُوا فِي صَلَاتِكُمْ ،
وَأَرْخُى السَّتَّارَ .

وَاشْتَدَّ الْوَجْعُ عَلَى النَّبِيِّ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ
عَائِشَةَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيْهِ مَاءٌ ، فَكَانَ يُدْخِلُ يَدَهُ
فِي الْقَدَحِ ، ثُمَّ يَمْسِحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ، وَيَقُولُ :

- اللهم أعني على سكرات الموت .
وثقل رأسه بسبعين في حجرها ، فظلت أ أنه غشى
عليه ، فغطته بثوب ، وجاء عمر والمعيرة بن شعبة ،
فاستأذنا ، فأذنت عائشة لهما ، فنظرا إليه ، وقال
عمر :

- واغشياه ، ما أشد غشى رسول الله !
وقال المعيرة :

- يا عمر ، مات رسول الله .

فقال له عمر في شدة :

- كذبت ! إن رسول الله بسبعين لا يموت ، حتى
يُفْنَى الله المنافقين .

وخرج عمر يخطب الناس ، ويوعّد الذين يقولون
إن رسول الله قد مات . وجاء أبو بكر ، ودخل
على الرسول ، ورفع عنه الغطاء ، وقال :

- إنا لله وإنا إليه راجعون ... مات رسول الله .
و قبل رأسه .

ثُمَّ قَالَ فِي حُزْنٍ :

— وَانْبِيَاءً .. وَاصْفَيَاهُ .. وَأَخْلِيَاهُ !

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ ، وَعَمَرٌ يُخْطُبُ النَّاسَ
وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ
الْمَنَافِقِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ :

— اجْلِسْ يَا عُمَرَ ، اجْلِسْ يَا عُمَرَ !

ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ :

— أَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً
رَسُولُ اللَّهِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّداً
فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ
لَا يَمُوتُ .

وَصَمَّتْ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ،
إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقُلِبْ
عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الثَّائِكِرِينَ » .

وَتَيَقَّنَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ،
فَأَجْهَشُوا بِالْكَاءَ ، وَارْتَفَعَ صَوْتُ فَاطِمَةَ تَذَكْرُ
مُحَاسِنَ أَبِيهَا ، فَرَأَدَ ذَلِكَ فِي حُزْنِ النَّاسِ .

أَبْتَاهُ يَا أَبْتَاهُ ! .. أَبْتَاهُ .

أَجَابَ رَبُّاهُ دُعَاهُ .. يَا أَبْتَاهُ .

إِلَى جَبَرِيلَ نَسْعَاهُ .. يَا أَبْتَاهُ .

مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ .. يَا أَبْتَاهُ .

وَجَاءَ أَوَانُ الصَّلَاةِ ، فَقَامَ بِلَالٌ يَؤَذِّنُ :

اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ !

أَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . أَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

أَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً ..

وَتَذَكَّرَ بِلَالٌ رَسُولُ اللَّهِ الْمَيِّتُ فِي دَارِهِ ، فَخَنَقَتْهُ

دَمَوعُهُ ، وَبَكَّ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ

بِالْكَاءَ ، وَلَفْهَا حُزْنٌ عَمِيقٌ .